

ولما رأه تحنن!

بقلم أماني فوزي



ولما جلسوا جميعاً يتناقشون في حال المقبوض عليهم والمحاکمين عسكرياً كانت هذه هي الآراء المختلفة:

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أمنا مالنا! ماهم بلطجية يستاهلوا المي بيحصل لهم. (شاب)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ طيب هم إيه المي وداهم هنالك أصلاً؟ (أب)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أكيد مجرمين علشان كده اتقبض عليهم (أم)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أمنا مالنا بقى، هما من بقيت أهلنا، هو الواحد ناقص مشاكل، خينا في حالنا. (أخ)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أمنا المي فاكره كويس أن الولد كان شكله غلبان، فقير، ساوونا احنا علشان خاطر لبسنا، وقبضوا عليه، بس أنا مش هسكت وأكيد هيطلع، مش ممكن نسيب واحد مظلوم جوة المسجن علشان مفيش حد بيدافع عنه، علشان معددوش إمكانيات. (فتاة رقيقة)

واستمرت الفتاة الرقيقة في المكفاح ضد المظلم، وخرج الولد الغلبان من السجن بعد فترة، ليست قصيرة، وتحاول حاليًا مع آخرين العمل على خروج الآخرين. (قصة حقيقية)

وأمام هذا المشهد أتأمل مشهداً آخر من حكاية أعرفها جيداً:

إِنْ سَأَنْ لَكَ أَنْ نَزَلْنَا مِنْ أَوْرُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا فَوْقَ بَيْتِ لُصُوصٍ فَاعْرِوهُ وَجَرِّحُوهُ وَمَضُوا وَتَرَكَوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ .

فَاعْرِضْ أَنْ كُنَّا نَزَلْنَا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ فَرَأَهُ وَجَّازَ مُقَابِلَهُ .

وَكَذَلِكَ لِأَيِّ ضَائِحٍ إِذْ صَارَ عَنْ دَمِ كَبَابٍ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَّازَ مُقَابِلَهُ .

وَلَكِنْ سَأَمْرِيَّ مَسْأَفَرًا جَاءَ إِلَيَّ وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ

فَتَقَدَّمَ وَضَمَّ جِرَاعَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيَّ هَذَا زَيْتًا وَخَمْرًا وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَنَدَّقَ وَأَعْتَنَى بِهِ .

وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَىٰ أَخْرَجَ دِينَارِيْنَ وَأَعْطَاهُمَا لِيَصْحَبَا أَلْفَ دِقِّ وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعَنْدِي رُجُوعِي أَوْفِيكَ

(لو 10: 37-30)

أسأل نفسي قبل أن أبدأ في سرد تأملاتي الخاصة بالمشهد مع أي فريق سأكون، أتردد كثيراً، لا أعرف، على الأقل في هذه اللحظة.

الشيء الذي يسبب لي الدهشة هو لماذا عندما سألت الناموسي هذا السؤال: من هو قريب؟ لم يسرد له يسوع كلمات أو قائمة من البشر، طويلة كانت أم قصيرة عن الفئات التي يمكن أن تحظى بهذه المكانة، بأن تكون قريبي الذي علي أن أحبه كنفسي. بل بدلاً من أن يكون المسائل هو الفاعل في المثل أصبح هو المفعول به.

فالشخص المضروب وما حدث معه هو الذي يحدد نوعية علاقة من حوله به، الشخص المجروح والمظلوم والملقى على الطريق في انتظار من يساعده هو من يمنحنا صفتنا أمام الله، وهو من يحدد مكانتنا منه وليس العكس. فأنا قريب، أو غير مبال، أو منافق، أو... حسب موقفني من الظلم وحسب رد فعلي أمام ما يحدث للآخرين من حولي.

لم يحدد المثل جنسية أو لون، أو ديانة الشخص النازل من أورشليم، قال يسوع عنه إنه "إنسان"

فهو إنسان متروك بين الحياة والموت، فهو ليس مسيحي، ليس ليبرالي أو إخواني، أو ... بل هو شخص، هو فقط إنسان. ويمثل السامري الفئة المرفوضة في المجتمع اليهودي) "من صنع معه الرحمة".

خرجت أنا وتساؤلاتي من مركز الدائرة ليدخل فيها "الآخر" وما لديه من احتياجات، ليحدد موقفني من الحياة، ومن المهني، من نفسي ومن الآخرين.

أصلي:

لنا أستطيع أن أعمل شيئاً بعد الآن

إنهم يدخلون ويدخلون

يدفعون المياب أمامهم، والمياب يزداد انفتاحاً

ويأبى على مصرعيه مفتوح

كفاني، يا رب... كفاني

خارت قواي

حياتي لم تعد تُطاق

أين مقامي بين المناسد؟

أين عائلتي؟ أين راحتتي؟ أين حريرتي؟ أين أنا؟

أرى أنني خسرت كل شيء، يا رب

لم أعد أملك ذاتي

لم يعد من مكان لي في ذاتي

لنا تخف يا بني

لقد ربحت كل شيء

بينما كان البشر يقتحمون بيتك

تسللت بينهم ودخلت

أنا الرب إلهك

أنا الآب

من كتاب الأيادي المضارعة لميشال كواست